إطلالة نقدية

على بعض مصادر التاريخ الإسلامي

تأليف: عمر خليفة راشد

www.omarblog.com

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

المحتويات

المقدمــة	ص٤
الفصل الأول: تاريخ الأمم والملوك للطبري	ص٦
الفصل الثاني: كتب البلاذري التاريخية	ص١١
الفصل الثالث: الكامل في التاريخ لابن الأثير	ص١٣
الفصل الرابع: البداية والنهاية لابن كثير	ص١٦
الفصل الخامس: سِير أعلام النبلاء للذهبي	ص٢٢
الفصل السادس: مروج الذهب للمسعودي	ص٢٧
الفصل السابع: تاريخ خليفة بن خيّاط	ص٢٩
الفصل الثامن: الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة	ص٣١
الفصل التاسع: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني	ص٣٤
الفصل العاشر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني	ص٣٦
خلاصــة	ص٣٩
ختــام	ص٤١

إن كنت ناقلا فالصحة..
أو مدّعيا فالدليل

مـقـدمـة

الحمد لله الذي أخرجنا ـ بهذا الدين القويم ـ من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبيب الحق، سيدنا محمد، ورضي الله عن صحابته الكرام، وقدواتنا العظام. وبعد..

فالتاريخ بحر لا تنتهي عجائبه، ولا تُدرك قيعانه، فيه اللؤلؤ الثمين، والكنز الدفين، وفيه كذلك الأخطار الداهمة، والوحوش الكامنة!

والذي يخوض في دهاليز التاريخ كمن يخوض في حقل ألغام، فيريد سلامة الوصول دون أن يلامس شيئا من هذه الألغام.. والألغام هنا، هي الروايات المكذوبة والأخبار الملفقة التي غزت كتب التاريخ منذ القدم، جنبا إلى جنب مع الروايات الصحيحة والأخبار الموثقة.

يقول الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) رحمه الله:

و ليعلم الطّالب أنّ السّيرا* * * تجمع ما صحّ و ما قد أنكرا

ونجد في كتاب الله عزّ وجلّ الاهتمام الشديد بعلم التاريخ. يقول الدكتور عماد الدين خليل: **"إن ثمة حقيقة أساسية تبرز واضحة في القرآن الكريم، تلك هي أن مساحة كبيرة من سوره وآياته قد خصصت (للمسألة التاريخية) التي تأخذ أبعادا واتجاهات مختلفة وتتدرج بين العرض المباشر والسرد القصصي لتجارب عدد من الجماعات البشرية"**.

ويبين لنا ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) رحمه الله أهميه التاريخ فيقول: **"فإن علم التاريخ هو مرآة الزمان لمن تدبر، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر"**.

وينبهنا الدكتور طه حامد الدليمي قائلا: **"لم أجد كالتاريخ موضوعاً تشيع فيه الأهواء وتشتجر الآراء، وتمتلئ ساحته بالفجوات، وتحشى فراغاته بالادعاءات، حتى لو قلت: إن (التاريخ أكذب العلوم) لما رأيتني عدوت الحقيقة! على أن هذا لا يلزم منه الإعراض عن التاريخ وتركه لغيرنا يعيثون فيه كما**

يشاءون ويهوَون، ولا يعني خلوه من الفوائد، بل هو مليء بها لكن جواهره تحتاج إلى ناقد بصير يجتهد ما أمكنه ليبتعد عن الانحياز، ينفض عنها الغبار ويعرضها للناظر من جديد".

وفي هذا البحث الوجيز، نقدم قراءة نقدية لبعض أهم مصادر التاريخ الإسلامي، ونستعرض ما فيها من إيجابيات وسلبيات، مركّزين على الكِتاب والمنهج المتّبع للمؤلف، وأحيانا، على شخص المؤلف أيضا، حيثما يستدعي الموقف الكلام على شخص المؤلف من حيث التعديل أو التجريح، أو من حيث ميوله السياسية والعقدية.

ويتعرض البحث لكتب هي من أمهات مصادر تاريخنا الإسلامي، كتبها مؤرخون بعضهم ثقاة، ولكن شابها ما شابها من روايات ضعيفة الإسناد أو مكذوبة، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ.

وكنا في دراسة سابقة لنا بعنوان (تاريخنا بين إشكالات التدوين القديم وإشكالات القراءة المعاصرة) قد تكلمنا في جوانب مهمة في فقه التاريخ، وتأتي هذه الدراسة تعزيزا وإضافة للدراسة السابقة.

والخير أردنا، وبالله التوفيق.

عمر خليفة راشد

ربيع الثاني ١٤٤٦هـ

الفصل الأول

تاريخ الأمم والملوك للطبري

ويُعرف الكتاب أيضا باسم (تاريخ الرسل والملوك)، تأليف المؤرخ الشهير، والمفسر الكبير محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالبب ، أبو جعفر الطَّبَرِي.مِن أهلِ مدينة (آمُل) وهي أكبر مدن إقليم (طَبَرِسْتان)، في شمال بلاد فارس، وكان مولده سنة ٢٢٤هـ.

يُعدّ الطبري من كبار فقهاء الشافعية، بل عدّه البعض مجتهدا مطلقا، ولكن مذهبه لم يُكتب له الانتشار. توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ.

منهج الطبري في التأريخ

وضّح لنا الطبري منهجه في التأريخ فقال في مقدمة كتابه:

"وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا".

فالطبري يتنصل من المسئولية لإيراده الروايات بغض النظر عن صحة أو ضعف أسانيدها بعذر أنه ذكر الإسناد، وعلى القارئ أن يتأكد من صحة أو ضعف هذا الإسناد!

يعلق المؤرخ السوري المعاصر الدكتور شاكر مصطفى على منهج الطبري هذا فيقول: **"وأهم ما يؤخذ على الطبري في منهجه: ضمور النقد عنده. كان يقف خارج الأحداث وخارج الرواية نفسها في برود عقلي واضح، راميا منذ مطلع الكتاب عهدة كل أمر على رواته".** (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ٢٥٩/١)

ويتحفنا المفكر والأديب المصري الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب بتحليل جميل عن تاريخ الطبري في مقال قديم له منشور على موقع (مداد)، فيقول:

"وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ) لأتحدث عنه إلى إخواني المشتغلين بالتاريخ، ممن يحاولون الانتفاع به في الاستدلال والنقل، لأني رأيت منهم من يظن أن إيراد الطبري لخبر من الأخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسئولية الخبر الذي أورده، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر، وأن الأخبار التي يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده، وأن عزوهم الخبر إلى الطبري ودلالتهم على موضعه من تاريخه تتم بهما مهمتهم من الاستدلال، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر، ويبقى الطبري هو المتحمل لمسئولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم. إن ظنهم هذا لا يغني من الحق شيئاً، وإن الطبري ليس هو صاحب الأخبار التي يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم، وهؤلاء متفاوتون في الأقدار، وأخبارهم ليست سواء في قيمتها العلمية، ولا يتم اعتبار الطبري مرجعاً في التاريخ إلا بإكمال المهمة التي بدأ بها، وهي تقدير أخباره بأقدار أصحابها، ففيها ما يعد من سلسلة الذهب، وفيها مالا تزيد قيمته على قيمة الخزف، ولكل ذلك نقاده وصيارفته وتجاره، وهم يعرفون أقدار هذه الأخبار عند التعريف بأقدار أهلها، وقديماً قيل: وما آفة الأخبار إلا رواتها".

أما الداعية الدكتور محمد موسى الشريف فيقول:

"الإمام ابن جرير محدث كبير الشأن، وقد ساق أخبار كتابه بالسند، لكنه ساق أخبارا مستشنعة، ظاهرا بطلانها، لائحا كذبها، خاصة ما تعلق من الأخبار بزمن الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم وزمن صدر الإسلام، وفي تلك الأخبار شبهات طاعنة في أصول الإسلام، وحجته في سوقها أنه أوردها بالسند فبرئت عهدته منها ... ولقد عُني المستشرقون بالكتاب فخدموه وطبعوه مبكرا لينالوا بغيتهم من الطعن في دين الإسلام، فإذا خافوا ملامة أو عتابا أحالوا على تاريخ الطبري ... ساق ابن جرير الأحداث متعددة في كثير من الأحيان لكنه تركها غُفلا من الترجيح، فلم يرجح رواية على أخرى إلا نادرا، وبذلك يقع قارئ التاريخ في حيرة وعماية فلا يعود يدري أين الحق في تلك الأخبار". (دراسات تاريخية منهجية نقدية، ص٣٣٨-٣٤٠)

أخطر آفتان في تاريخ الطبري

الآفة الأولى: أبو مخنف لوط بن يحيى، والثانية: هشام بن محمد الكلبي، فهما - مع آخرين- من المتهمين بالتشيع والكذب، تملأ رواياتهم تاريخ الطبري، وقد أحدثت رواياتهم تشويها مريعا في أشخاص الصحابة رضي الله عنهم، وقلبا للحقائق في أحداث هامة في صدر الإسلام، خاصة أحداث الفتنة الكبرى التي بدأت في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما الآفة الأولى (لوط بن يحيى) فيقول عنه المؤرخ السعودي الدكتور سليمان بن حمد العودة: **"هو من الرواة المتقدمين (ت ١٥٧ هـ) والمكثرين، حتى بلغت مروياته في تاريخ الطبري (٥٨٥) رواية، وفي فترة مهمة من فترات التاريخ الإسلامي، ابتدأت من وفاة الرسول ﷺ حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ. وهذا الراوي غارق في التشيع من أخمص قدميه حتى شحمة أذنيه، ولهذا قال عنه ابن عدي: شيعي محترق. ولئن كان أمره مكشوفا لعلماء الجرح والتعديل وأرباب التاريخ المتقدمين، فليس الأمر كذلك لبعض المؤرخين المتأخرين الذين تناقلوا مروياته دون نظر أو تمحيص، ويكشف لنا المتقدمين حقيقته فيقول ابن**

معين: ليس بشيء. وقال ابن حبان: رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات". (نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية، ص٩)

ويقول عن الآفة الثانية (هشام الكلبي):

"وهذا راو آخر من رواة الشيعة، وممن أكثر الرواية عنهم إمام المؤرخين ابن جرير الطبري، إذ بلغت رواياته في تاريخ الطبري ما يقرب من ثلاثمائة رواية شملت تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء وطرفا من أخبار الدولة الأموية. وقد تحدث أئمة الجرح والتعديل عن تشيعه وغرابة مروياته. قال العقيلي: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: هشام بن محمد بن السائب الكلبي مَن يحدّث عنه؟! إنما هو صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدّث عنه". (نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية، ص١٣-١٤)

وعن الطبري رحمه الله وتاريخه، يقول المؤرخ المصري المعاصر الدكتور حمدي شاهين: **"ولا ريب أن اعتماد أبي مخنف كأحد الرواة أو المؤرخين المبكرين الموثوق بهم سوف يقود إلى نتائج وخيمة على نزاهة البحث العلمي، وسوف يمرر ذلك روايات شيعية صرفة ومكذوبة تدين مسالك الصحابة والتابعين في صدر الإسلام. وقد اعتمد الطبري في تاريخه على روايات أبي مخنف اعتمادا يكون كاملا في بعض المواقف التي كان الأولى به أن يعتمد فيها على رواة محايدين عدول".** (الدولة الأموية المفترى عليها، ص٤٧)

وهذه (جرائم) لوط بن يحيى الكذاب بحق التاريخ الإسلامي: يقول المؤرخ المغربي المعاصر الدكتور محمد أمحزون:

"من الملاحظ أن أبا مخنف يتعمد التزوير والتحريف في الروايات، ومن أمثلة ذلك قصة الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمع أن راوي القصة واحد عند الإمام البخاري وأبي مخنف، وهو عمرو بن ميمون (تابعي ثقة)، إلا أن أبا مخنف غيّر المتن وزاد فيه زيادات منكرة. أما قصة مبايعة علي رضي الله عنه فقد ساقها بنفس الإسناد الذي ساقه بها الإمام أحمد ومع ذلك غيّر في ألفاظها وأضاف إليها كلمات غريبة منكرة". (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدّثين، ٢٥١/١)

ختاما، ومن باب الإنصاف، نذكر أيضا ما امتاز به تاريخ الطبري رحمه الله:

١- أن الإمام الطبري يروي بالأسانيد. وقد اقتدى به في ذلك الكثير من المؤرخين بعده.

٢- أصبح كتابه مصدرا لكثير من المؤرخين الذين أتوا بعده.

٢- الروايات (الصحيحة) في تاريخه كنز لا يُقدّر بثمن. والعبرة في التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها في كتابه.

الفصل الثاني

كتب البلاذُري التاريخية

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذُري (ت ٢٧٩هـ) رحمه الله. له كتابان مهمان هما (فتوح البلدان)، و(أنساب الأشراف). أما (فتوح البلدان) فيبحث تاريخ الفتوحات الإسلامية، وأما (أنساب الأشراف) فهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب.

والبلاذري أسبق تاريخيا من الطبري، ولكننا قدّمنا تاريخ الطبري في هذا البحث نظرا لمكانة الطبري وتاريخه.

ميوله السياسية

اختلف المؤرخون المعاصرون في مدى حيادية البلاذري في تأريخه لأخبار بني أمية وبني العباس، خاصة وأنه كان (موظفا) في ديوان الخلافة العباسية!

يقول المؤرخ العراقي الشهير الدكتور عبدالعزيز الدوري:

"على الرغم من اتصاله بالعباسيين إلا أن البلاذري محايد في أخباره، ومتزن، فهو يفسح المجال للروايات كافة، ويحاول بصورة جدية أن يكون موضوعيا في أخباره. ويعبر البلاذري في (أنساب الأشراف) عن فكرة وحدة الأمة واتصال خبراتها في التاريخ الإسلامي. أما (فتوح البلدان) فيظهر قيمة خبرة الأمة للأغراض الإدارية والتشريعية". (نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٥٨)

إلاّ أن المؤرخ المصري الدكتور حمدي شاهين يتهمه بمحاباة العباسيين لدرجة أنه لا يضفي لقب (الخلافة) على الخلفاء الأمويين رحمهم الله، باستثناء الخليفة عمر بن عبدالعزيز! بينما يصف الدولة العباسية بـ (الدولة المباركة)"! (دراسات في عصر الخلفاء الراشدين، ص٣٢)

ملاحظات سريعة على منهجه التأريخي

١) يرجح أحيانا بين الروايات، ويظهر رأيه ونقده فيقول مثلا: "والخبر الأول أثبت"، ونحو ذلك من العبارات.

٢) يستعمل صيغة (التضعيف) أحيانا، فيقول مثلا: "وقد روى ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه". وقوله: "حدثني هشام بن عمار في إسناد له لم أحفظه".

٣) ويستعين برواة من المتهمين بالتشيع أو الكذب أو كلاهما، فيروي أسانيد عن أبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن عمر الواقدي وأمثالهما.

٤) ويحدث أحيانا أن يورد عدة روايات، بينها شيء من الاختلاف حول الموضوع نفسه، كما فعل الطبري في تاريخه.

٥) وترد لديه بعض الروايات المنفردة دون إسناد!

رحم الله البلاذري وغفر لنا وله.

الفصل الثالث

الكامل في التاريخ لابن الأثير

المؤلف هو المؤرخ الشهير عز الدين علي بن محمد الجَزَري الموصلِّي الشيباني، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، رحمه الله. من أشهر مؤلفاته بالإضافة إلى (الكامل):

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، وهو في تراجم الصحابة رضي الله عنهم.
- اللباب في تهذيب الأنساب، وهو في الأنساب.

أما (الكامل في التاريخ)، فهو أشهر مؤلفاته، يستعرض فيه التاريخ منذ الخليقة وابتداء أول الزمان، حتى عصره، حيث انتهى عند آخر سنة ٦٢٨هـ، أي قبل وفاته بسنتين.

موقف ابن الأثير من الدول والشخصيات الشيعية

للمؤرخ ابن الأثير موقف غريب من الدول الشيعية وملوكها وأمرائها في عصره، وهو موقف (التقدير والتبجيل)، والغلوّ في ذلك!

يقول المفكر السوري الدكتور محمد العبدة:

"كنت أعلم أن للمؤرخ ابن الأثير موقفاً من الدولة العبيدية - التي تسمى بالفاطمية - يتعلق بتصحيح نسبهم إلى علي - رضي الله عنه -، وهي القضية التي أثير حولها جدل كبير بين القدماء والمعاصرين، وكنت أظن أن الأمر يتعلق بموضوع النسب فقط، وهو شبيه بموقف ابن خلدون أيضاً، وإن كانا قد خالفا في هذه المسالة أكثر علماء الأمة ومؤرخيها. ولكن من خلال قراءتي لأحداث القرنين الرابع والخامس في (الكامل) تبين لي أن ابن الأثير لا يصحح النسب فقط، بل هو متعاطف مع هذه الدولة بشكل عام، فهو يمدح ملوكهم ويبرز محاسنهم ولا يذكر عيوبهم، ويؤكد في كل مرة يترجم لأحدهم بقوله: (الخليفة

العلوي)، كأنه يريد أن يرسخ هذا في ذهن القارئ، ثم تبين لي أنه يغرق في مدح بعض ملوك الدولة البويهية وأمراء الدولة الأسدية والحمدانية، وهذه الدول والإمارات كلها غير سنية". (من مقال له على موقع: مداد)

لقد مدح ابن الأثير ملوك الدول البويهية والصليحية والعبيدية (المسماة بالفاطمية)، وجاوز الحدّ في مدحهم، فلماذا يا ترى؟!

كان ابن الأثير يعيش تحت ظل ملك الموصل بدر الدين لؤلؤ، الملقب بـ (الملك الرحيم)، وهو غلام أرمني الأصل، استطاع الوصول إلى الحكم عن طريق التآمر على حكام المدينة، وهم من بقايا السلاجقة، وكان يحيي بعض أعياد النصارى، ويوزع خلالها الخمور! كما كان مؤيدا للرافضة محبا لهم، وينفق على أعيادهم أيضا كما نقل عنه المؤرخون كالذهبي وابن كثير وغيرهما.

وقد كتب ابن الأثير كتابه (الكامل) ليقدمه هدية لهذا الملك الضال المضل، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه فقال:

"فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت وقواطع توالت وتعددت، لأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمت، ثم إن نفراً من إخواني وذوي المعارف والفضائل من خلاني رغبوا إلي في أن يسمعوه مني، ليروووه عني، فاعتذرت بالأعراض عنه وعدم الفراغ منه، فإنني لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح فيه من غلط وسهو ... فبينما الأمر كذلك إذ برز مَن طاعته فرض واجب واتباع أمره حكم لازب، مَن أعلاق الفضل بإقباله عليها نافعة، مولانا مالك الملك الرحيم!! فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل، وأبطلت رداء الكسل، وألفت الدواة وأصلحت القلم وقلت: هذا أوان الشد فاشتدي زيم، وجعلت الفراغ أهم مطلب، وإذا أراد الله أمراً هيأ له السبب وشرعت في إتمامه مسابقاً..". (الكامل في التاريخ، ٦/١)

فانظروا إلى مؤرخنا وهو يصف هذا الطاغية بـ (مالك الملك)!!

وذكر ابن كثير رحمه الله أن هذا الملك قد كافأ ابن الأثير على كتابه فقال:

"وقد جمع له الشيخ عز الدين كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فأجازه عليه وأحسن إليه". (البداية والنهاية، ٢٠٣/١٣)

بل إن ابن الأثير في كتابه لم يكن محايدا وموضوعيا كذلك في حديثه عن أحداث الفتنة الكبرى في صدر الإسلام.

يقول الباحث السعودي سليمان الدخيل:

"في أحداث الفتنة الواقعة بين الصحابة يلحظ القارئ (للكامل) تغليب الروايات التي تصف خصوم (علي) -رضي الله عنه- بصفات يبعد قبولها، بل يبعد أن يقول بها علي نفسه، ومنها أن علياً يصف معاوية ويقول: (... وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق بن طليق، حزب من الأحزاب، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين...)! (من مقال له على موقع: مداد)

للأسف، المؤرخ ابن الأثير في تأريخه كان متملقا لـ (ولي نعمته)، طالبا رضاه، وهذا سبب موقفه الغريب من بعض الأحداث والشخصيات ذات العلاقة بالشيعة، أما ما عدى ذلك من أحداث، فللكتاب قيمته الكبيرة كمصدر من مصادر تاريخنا الإسلامي.

الفصل الرابع

البداية والنهاية لابن كثير

المؤرخ الكبير، والمفسر الشهير عماد الدين، الحافظ، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤ هـ)، رحمه الله.

وكتابه (البداية والنهاية) نراه الأفضل والأصح من بين مصادر التاريخ الإسلامي، فالروايات الضعيفة أو المكذوبة في كتابه أقل بكثير من غيره، والحس النقدي عنده أظهر من غيره من المؤرخين، وإن كان لا يرقى إلى المستوى المطلوب!

منهج ابن كثير

يختصر لنا الدكتور حمدي شاهين منهج ابن كثير فيقول:

"ينبه ابن كثير إلى خطورة الإسرائيليات ويحذر منها في مقدمة كتابه، وقد انتقد بعض الإسرائيليات في مواطن منه ... وبفضل هذا الحذر المنهجي كان كتاب (البداية والنهاية) من أقل كتب التاريخ العام التفاتا إلى الإسرائيليات..". (منهج ابن كثير في التأريخ للسيرة النبوية، ص٥)

ويقول: **"كان ابن كثير من علماء الحديث، وله في ذلك جهود ومؤلفات، وقد أكسبه ذلك دربة على نقد الروايات من حيث إسنادها ومتنها، والموازنة بينها، وانعكس ذلك على نقده روايات التاريخ، إلا أنه في أحيان أخرى يورد روايات عن الضعفاء والكذابين، وروايات مرسلة عن مجهولين دون نقد"**. (المصدر السابق، ص٣٦)

ونستشهد بفقرات من (البداية والنهاية) لإثبات صحة كلام الدكتور شاهين:

"قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال: ...". (٥١٦/٧)

ابن كثير هنا يعتبر الهيثم بن عدي من أحسن ما صنف في مسألة الخوارج، ولكنه عند أئمة الجرح والتعديل "كذاب متروك"..

ويعقب ابن كثير على روايات مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه فيقول:

"وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعيا، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه إخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره..". (٢٨٣/٨).

هنا، يتناقض ابن كثير (المحدّث) مع ابن كثير (المؤرخ)، فأبي مخنف لوط بن يحيى ضعيف في الحديث، لكنه ثقة في التأريخ!! وهذا الموقف من أبي مخنف نجده عند كثير من علماء الحديث والرجال.

وعندما يأتي على ذكر سبب وفاة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول:

"ذكْر سبب وفاته رحمه الله: كان سببها السل، وقيل: سببها أن مولى له سمه في طعام أو شراب، وأُعطي على ذلك ألف دينار.". (٣١/١٠)

يذكر مؤرخنا هنا السبب الذي يرجحه، وهو الوفاة بمرض السل، وهو رأي صحيح، ويذكر السبب الآخر بصيغة تضعيف: (وقيل). فابن كثير هنا يمارس نقدا تاريخيا فيرجح رأيا على آخر.

جولة تاريخية في (البداية والنهاية)

نستعين في جولتنا هذه بالطبعة الرابعة لدار ابن كثير، دمشق وبيروت، لسنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. وهي طبعة من تحقيق فريق يضم الدكتور رياض عبدالحميد رياض، ومحمد حسان عبيد، وأكرم عبداللطيف البوشي، ومراجعة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط والأستاذ الدكتور بشار عواد معروف. نبدأ الجولة باستعراض بعض الروايات مع تعليقات عليها:

١) يقول رحمه الله عن خلافة الصدّيق رضي الله عنه:

"والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوّح بذكر الصدّيق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جدا إليه..". (٣٩٨/٧)

رأي ابن كثير هنا موافق لرأي شيخه ابن تيمية رحمه الله، ومعارض لرأي ابن حزم رحمه الله، الذي يقول بالوصية لأبي بكر. يقول ابن تيمية:

"والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له..". (منهاج السنّة النبوية، ٢٠٠/١)

٢) وعن دور علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة خيبر يقول:

"وذكر محمد بن إسحاق: عن عبدالله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهوديا ضرب عليا فطرح ترسه، فتناول بابا عند الحصن فتترس به، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده، قال أبو رافع: فلقد رأيتني أنا وسبعة معي نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع!! وقال ليث: عن أبي جعفر عن جابر أن عليا حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، فلم يحمله إلا أربعون رجلا!!". (٣٩٧/٧)

هذه مبالغات غير مقبولة ولا تصح لا سندا ولا متنا، وعلي رضي الله عنه في شجاعته وقوته في غنى عن هذه الأساطير.

٣) وعن مقتل الحسين رضي الله عنه يذكر ابن كثير هذه الرواية:

"وروى ابن عساكر: أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم، فوجدوا في كنيسة مكتوبا: (أترجوا أمة قتلت حسينا ... شفاعة جدّه يوم الحساب)، فسألوهم: من كتب هذا؟ فقالوا: إن هذا مكتوب هاهنا من قَبل مبعث نبيكم بثلاث مئة سنة!!". (٢٨٠/٨)

هذه أسطورة أخرى يذكرها ابن كثير ولا يعقّب!

٤) وهذا رأي ابن كثير في الدولة الأموية:

"فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من

الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والاوليا والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه. فقتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك، يقتل ويسبي ويغنم، حتى وصل إلى تخوم الصين، وأرسل إلى ملكه يدعوه، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرةً هديةً، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده، بحيث أن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه". (٢٥٤/٩)

هذه شهادة منصفة من مؤرخنا بحق الدولة الأموية العظيمة.

٥) وعن ثورة زيد بن علي بن الحسين رحمه الله، يقول ابن كثير:

"ثم إن طائفة من الشيعة التفّت على زيد بن علي، وكانوا نحوا من أربعين ألفا، فنهاه بعض النصحاء عن الخروج، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وقال له: إن جدك (أي الحسين) خير منك، وقد التفّ على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفا، ثم إنهم خانوه أحوج ما كان إليهم، وإني أحذرك من أهل العراق. فلم يقبل، ... فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مئتان وثمانية عشر رجلا فجعل زيد يقول: سبحان الله! أين الناس؟". (١٧٥/١٠-١٧٩)

معلومة مهمة وخطيرة عن أهل الشقاق والنفاق في الكوفة، وكيف أنهم استدرجوا زيدا كما استدرجوا الحسين رضي الله عنه من قبل.

٦) وينتقد ابن كثير الخليفة العباسي المأمون بشدة:

"وفي ربيع الأول من هذه السنة (٢١٢هـ) أظهر المأمون بدعتين فظيعتين، إحداهما أطم من الأخرى، وهي: القول بخلق القرآن، والأخرى: تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ. وقد أخطأ في كل من هذين المذهبين خطأ كبيرا، وأثم إثما عظيما، ومن العلماء من يكفّر من يقول بخلق القرآن..". (٤٦/١١)

كان المأمون يعاني من اضطرابات فكرية، فيوم سنّي، ويوم شيعي، ويوم معتزلي! ومات على الاعتزال. كيف يكون مثل هذا أميرا للمؤمنين؟!

٧) ويثني على الخليفة المتوكل رحمه الله، وكان من صلحاء بني العباس:

"وكان من خيار الخلفاء، وأحسن صنيعا إلى أهل السنّة، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون". (١٢٢/١١)

ويقول في موضع آخر: **"وارتفعت السنّة جدا في أيام المتوكل، وكان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الإمام أحمد بن حنبل".** (١٤٢/١١)

رحم الله أمير المؤمنين المتوكل العباسي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير.

٨) ويقول عن أحداث سنة ٢٤١هـ:

"وفي هذه السنة ضُرب رجل ببغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم ضرباً شديداً مبرحاً، يقال: إنه ضُرب ألف سوط حتى مات، وذلك لأنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكرٍ وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم أجمعين فرفع أمره إلى الخليفة (المتوكل)، فجاء رد الخليفة إلى نائب بغداد يأمره أن يضرب هذا الرجل بين الناس حدّ السب، ويضرب بالسياط حتى يموت ويلقى في دجلة ولا يصلّى عليه، ليرتدع بذلك أهل الإلحاد والمعاندة، ففُعل معه ذلك، قبحه الله ولعنه. ومثل هذا يكفّر إن كان قد قذف عائشة أم المؤمنين بالإجماع، ومن قذف سواها من أمهات المؤمنين قولان، والصحيح أنه يكفر أيضا، لأنهن أزواج النبي ﷺ". (١٥٧/١١)

من خلال هذه الرواية، يأتينا الإمام ابن كثير بالقول الفصل في حُكم من يفتري على صحابة رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين، رضي الله عنهم جميعا.

٩) ويأتينا بمعلومة خطيرة عن القرامطة:

"وفيها (أي سنة ٣٦٦هـ) توفي أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنّابي صاحب هَجَر ومقدم القرامطة، فقام بالأمر من بعده ستة من قومه، وكانوا يُعرفون بالسادة..". (٢٨٦/١٢)

ونتساءل عن قول ابن كثير: (وكانوا يُعرفون بالسادة): هل القوم الذين يُعرفون اليوم بـ (السادة) في شرقي الجزيرة العربية هم من آل عليّ أم من آل قرمط؟!

١٠) وأخيرا: يحدثنا ابن كثير عن الوزير ابن العلقمي الخائن:

"فيها (أي في سنة ٦٤٢هـ) استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن العلقمي المشؤوم على نفسه، وعلى أهل بغداد، والذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده قبحه الله وإياهم". (٢٤٦/١٥)

ونحن نتساءل: هل هذا العلقمي الرافضي هو الخائن الوحيد في هذا الحدث الجلل، أم أن الذي استوزره أيضا خائن بحق الأمّة، إذ كيف يسلط الخليفة المستعصم مثل هذا المجرم على رؤوس الرعية، ثم يجلس هو في قصره بين الجواري؟!

الفصل الخامس

سِير أعلام النبلاء للذهبي

الحافظ المؤرخ، أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقي التركماني الشافعي (٦٧٣-٧٤٨هـ)، رحمه الله، صاحب (سِير أعلام النبلاء)، و(تاريخ الإسلام)، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، وغيرها من المصنفات.

أما (سِير أعلام النبلاء) فكتاب في التراجم، وكتب التراجم والطبقات والوفيات تُعدّ من مصادر التاريخ.

يقول الدكتور بشار عواد معروف في مقدمة تحقيقه لكتاب (السِير):

"وقد اعتنى الذهبي في سير أعلام النبلاء بكل أنواع النقد، فلم يقتصر على مجال واحد من مجالاته، فقد عني بنقد المترجمين، وتبيان أحوالهم، وأصدر أحكاما وتقويمات تاريخية، وانتقد الموارد التي نقل منها، ونبه إلى أوهام مؤلفيها، وبرع في إصدار الأحكام على الأحاديث إسنادًا ومتنًا، وسحب ذلك على الروايات التاريخية ... كان من منهج الذهبي نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم ليقدم صورة كاملة عنه، وهو طابع عام في كتابه تجده في كل ترجمة من تراجمه، بينما اقتصر آخرون على إيراد المدائح في كتبهم مثل السبكي (ت: ٧٧١ هـ) وغيره".

وكلام الدكتور بشار يعطينا فكرة عامة، إيجابية الطابع عن هذا المصنَّف، ولكن منهج الذهبي يتضمن سلبيات سنوضحها بذكر بعض النماذج من تراجمه لبعض الشخصيات الشهيرة، مع تعليقنا عليها..

نماذج من تراجم الذهبي

١) ما ذكره عن قرة بن شريك القيسي:

هو قرة بن شريك القيسي أو العبسي، عينه الخليفة الوليد بن عبد الملك رحمه الله والياً على مصر سنة (٩٠هـ)، وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة (٩٦هـ).

تعرضت سيرته للتشويه في بعض كتب التاريخ، واتهم بأشياء لا يقبلها عقل ولا منطق.

يقول عنه الذهبي:

"قرة بن شريك القيسي القنسريني نائب ديار مصر للوليد، ظالم جبار عات فاسق، مات بمصر بعد أن وليها سبعة أعوام. أنشأ جامع الفسطاط وكان إذا انصرف منه الصناع دخله ودعا بالخمور والمطربين ويقول: لنا الليل ولهم النهار"!! (سير أعلام النبلاء، ٤/٤١٠)

يروي الذهبي - وغيره من المؤرخين- هذه التهمة الشنيعة عن هذا الوالي، وهي إصراره على شرب الخمر في المسجد، وأي مسجد؟! مسجد يقوم هو بإنشائه!

في القرنين (١٩م – ٢٠م) تم في مصر اكتشاف وثائق تاريخية قديمة تعود إلى العصر الأموي، كتبت على أوراق البردي، وتتضمن الكثير من المعلومات المهمة التي تتعلق بسياسة قرة بن شريك وطريقته في إدارة شئون الولاية، وكيف أنه كان واحدا من أفضل وأعدل الولاة في تاريخ الإسلام.

يعلق المفكر العراقي الدكتور طه حامد الدليمي على هذا التفاوت بين الحقيقة وبين ما ذكره الإمام الذهبي وغيره من ظلم بيّن لهذا الوالي:

"إن بين الوالي ابن شريك وبين أقرب مؤلف كتاب من الكتب التي راجعتها تضمن الذم، أي ابن تغري بردي (٣٣٦) سنة. أما أبعدهم، أي السيوطي فبينه وبين ابن شريك (٨١٥) سنة. وهذا يعطينا فكرة لا بأس بها عن المدة التي احتاجتها تلك العبارات الهابطة لتكتب أو تتسلل إلى تلك الكتب". (من مقال له على موقع: التيار السني في العراق)

وجاء القول الفصل من الباحث الأردني جاسر أبو صفية، الذي ألف كتابا قيّما حول هذه البرديات، وذكر معلومات تفصيلية عن مهارة هذا الوالي الأموي وعدالته في إدارة شئون مصر السياسية والمالية. وقام مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية بطباعة هذا الكتاب سنة ٢٠٠٤م. يقول الدكتور أبو صفية:

"والعجب كل العجب من علمائنا القدامى محدّثين ومؤرخين، كالذهبي وابن عساكر وغيرهما، كيف يجدون الجرأة في إصدار حكم جائر على مسلم دون روية أو تحقيق، وهم الذين وضعوا قواعد الجرح والتعديل وأصول نقد الروايات بعيدا عن الهوى والتعصب ... وشاء الله أن تظهر حقيقة قرة بن شريك نقية جلية في الوثائق البردية التي اكتشفت في مصر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين. وهي صورة مناقضة لصورته في الروايات التاريخية". (برديات قرة بن شريك دراسة وتحقيق، ص١٣-١٤)

٢) الذهبي ومسألة (النصب والنواصب):

قال الذهبي في ترجمته للخليفة العباسي المتوكل رحمه الله:

"أظهر المتوكل السنّة، وزجر عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار ... وفي سنة ست وثلاثين هدم المتوكل قبر الحسين رضي الله عنه ... وكان المتوكل فيه نصب وانحراف!! فهدم هذا المكان وما حوله من الدور..". (٣٠/١٢)

يتهم الذهبي الخليفة المتوكل بالنصب، أي نصب العداء لعلي رضي الله عنه وبنيه. أيكون كذلك وهو ابن عمّ علي؟! وهل يكفي مجرد هدمه للقبر المزعوم للحسين رضي الله عنه ليكون من النواصب! وقد ذكرنا في الفصل السابق ثناء الإمام ابن كثير على هذا الخليفة الحريص على عقائد المسلمين.

ومن المعاصرين، ننقل هذا الكلام القيّم للباحث المصري الشيخ ناصر بن عبدالمجيد أبو العلا، الذي يقول عن المتوكل:

"ولقد قام المتوكل بأمر السنة خير قيام، حتى إن البعض اتهمه أنه ناصبي يعادي آل البيت، وهذا اتهام فاسد، فكيف يعادي بيتا هو منه؟! وكان ذلك الاتهام بسبب أنه في (سنة ٢٣٦ هـ) أمر بهدم ما يسمى بقبر الحسين في كربلاء، وهدم

ما حوله من الدور، وزرع ما حوله، ومنع الناس من زيارته، وهذا من تمام إقامة التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ". (البحرين مرآة لتاريخ الأمة، ٤٤٩/١)

كذلك، أصبح الاتهام بـ (النصب) سيفا مصلتا على رقاب كل من تكلم في أحداث الفتنة الكبرى بشيء من الموضوعية، فاتُّهم بهذه التهمة كل من ابن تيمية وابن خلدون والقاضي ابن العربي وغيرهم من عظماء الأمة، وكذلك بعض المعاصرين من مؤرخين ومفكرين.

٣) رأيه في الشريف المرتضى:

يقول عنه الذهبي:

"هو جامع كتاب (نهج البلاغة)، المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟! وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرضي ... وكان من الأذكياء الأولياء، المتبحرين في الكلام والاعتزال، والأدب والشعر، لكنه إمامي جلد، نسأل الله العفو ... وفي تواليفه سب أصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع. (٥٨٨/١٧)

ونلحظ ما يلي:

- حسّن نقدي واضح عند نفيه أن يكون ما في (نهج البلاغة) من كلام عليّ رضي الله عنه.
- يصف الشريف المرتضى بـ (الإمامي الجَلد.. يسب الصحابة)..
- ومع ذلك يعتبره من (الأولياء)! هل يجتمعان؟!

٤) رأيه في أبي حيّان التوحيدي:

يعطينا الذهبي صورة صادقة عن هذه الشخصية التي اغترّ بها الكثير من المعاصرين، فيصفه:

"الضال الملحد، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس ... قال ابن بابي في كتاب (الخريدة والفريدة): كان أبو حيان هذا كذابا قليل الدين والورع ... وقال أبو

الفرج ابن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرّحا، وهو مَجْمَجَ ولم يصرّح..". (١١٩/١٧)

رحم الله الإمام الذهبي وغفر له.

الفصل السادس

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٢٨٣-٣٤٦هـ)، الشيعي الكذاب، ندرج كتابه ضمن مصادر التاريخ بالرغم من أكاذيبه وافتراءاته لأن كتابه - للأسف - يُعتبر مصدرا للأخبار عند كثير من المعاصرين، ولا يخلوا الكتاب - بطبيعة الحال - من بعض الفوائد، خاصة المعلومات الجغرافية التي يقدمها للقارئ عن البلدان والأقاليم.

قالوا عنه

- القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله (ت ٥٤٣ هـ):

"المبتدع المحتال، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه". (العواصم من القواصم، ص٢٦٢)

- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ):

"في تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى". (منهاج السنّة، ٧٩/٤)

- ابن خلدون رحمه الله (ت ٨٠٨ هـ):

"في كتب المسعودي من الطعن والغمز ما هو معروف عند الإثبات و مشهور بين الحفظة الثقات". (المقدمة، ص٤)

نماذج من كتابه

١) يقول المسعودي عن عليّ رضي الله عنه:

"بويِعَ علي بن أبي طالب في اليوم الذي قُتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سِنِين وتسعة أشهر وثمانية أيام، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً ... واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة. (٣٤٩/٢)

والملاحظ فيما مر إستخدامه لكلمة (القتل) في حق عثمان، وكذلك فعل مع عمر في موضع أخرى، و(الإستشهاد) في حق علي! رضي الله عنهم أجمعين.

كما يُلاحظ أيضاً استخدامه لعبارة (أمير المؤمنين) لعلي رضي الله عنه فقط!

٢) ويروي لنا المسعودي هذا الكذب المبين:

"ولما بويع أبو بكر في يوم السَّقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج عليّ فقال: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم تَرْعَ لنا حقاً..". (٣٠١/٢)

٣) ويفتري على أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه، فيقول أن معاوية:

"صلى بأصحابه عند مسيرهم إلى صفّين الجمعة في يوم الأربعاء"!! (٣٢/٣)

٤) ويصور لنا المسعودي ولادة الحجاج رحمه الله بصورة بشعة فيجعله:

"والغا بالدماء منذ اليوم الأول لولادته، وأنه لم يرض أن يرضع من ثدي أمه إلا بعدما لطخ بالدماء"!! (٦٧/٣)

والخلاصة: أن المسعودي ميوله الشيعية واضحة، وأكاذيبه فاضحة، عليه من الله ما يستحق.

الفصل السابع

تاريخ خليفة بن خياط

أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، توفي سنة (٢٤٠هـ)، فهو من المؤرخين المتقدمين زمنيا، رحمه الله.

قال عنه الذهبي: **"وكان صدوقا نسّابة، عالما بالسّير والأيام والرجال، وثّقه بعضهم".** (سير أعلام النبلاء، ٤٧٣/١١)

منهجه في التأريخ

يوجز لنا الشيخ الدكتور أكرم ضياء العمري في المقدمة التي كتبها ضمن تحقيقه لكتاب (تاريخ خليفة بن خياط)، فيقول:

"ويظهر تساهله في الإسناد في كثير من الروايات حيث نجده يذكر في إسناده: (حدثني مَن سمع) أو (رُوي عن) أو (حُدثنا عن). على أن خليفة لم يسند سائر رواياته، بل أورد مادة واسعة دون أسانيد". (تاريخ خليفة، مقدمة المحقق، ص١٥)

مقتطفات من تاريخه

هذه بعض الروايات التي أوردها خليفة رحمه الله في تاريخه، وبعض هذه الروايات قابلة للأخذ والرد بطبيعة الحال:

١) يورد مؤرخنا أسماء من شاركوا في معركة صفّين من الصحابة وأبناء الصحابة من الفريقين كالآتي:

"في جيش علي: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عمار بن ياسر، الأشعث بن قيس، عبدالله بن عباس، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، عدي بن حاتم، الأحنف بن قيس ... وفي في جيش معاوية: عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، عبيدالله بن عمر بن الخطاب، عبدالله بن عمرو بن العاص، حبيب بن مسلمة الفهري، أبو الأعور السلمي، مسلمة بن مخلد، بسر بن أبي أرطأة". (ص١٩٤-١٩٥)

فعدد المشاركين من الصحابة في (صفّين)، ومن قبل في (الجمل) كان محدودا جدا.

يؤكد هذه المعلومة قول التابعي محمد بن سيرين رحمه الله:

"هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن رواية ابن سيرين:

"إسناد هذه الرواية من أصح الأسانيد". (منهاج السنّة، ٢٣٦/٦)

٢) ويقول عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما عندما أعلن نفسه خليفة للمسلمين:

"وإنما كان ابن الزبير يدعو قبل ذلك إلى أن تكون شورى بين الأمة، فلما كان بعد ثلاثة أشهر من وفاة يزيد بن معاوية دعا إلى بيعة نفسه، فبويع له بالخلافة لتسع خلون من رجب سنة أربع وستين". (ص٢٥٨)

ويقول أيضا:

"وفيها (أي سنة ٦٥هـ) دعا ابن الزبير محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) إلى بيعته فأبى، فحبسه في شعب بني هاشم في عدة من أصحابه منهم عامر بن واثلة أبو الطفيل، وأوعدهم وعيدا شديدا، حتى بعث المختار أبا عبدالله الجدلي فأخرجهم من الحصار". (ص٢٦٢)

نفهم من الروايتين أن ابن الزبير رضي الله عنه أعلن خلافته بغير مشورة، وبتعبير خليفة: (دعا إلى بيعة نفسه)! كما أنه لم يكن على بيعته إجماع حتى أنه اضطهد محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) وسائر بني هاشم عندما رفضوا مبايعته.

رحم الله خليفة بن خياط.

الفصل الثامن

الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي (٢١٣-٢٧٦هـ)، رحمه الله.

قال عنه الذهبي: **"العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبَعُد صيته.."**. (سير أعلام النبلاء، ٢٩٧/١٣)

أما الكتاب المعنون بـ (الإمامة والسياسة) فيُنسَب إليه ظلما وعدوانا، فالكتاب منحول قطعا، وإنما نضيفه إلى دراستنا هذه من باب التحذير من الكتاب وعدم اعتماد ما فيه، خاصة وأنه غدا مصدرا لبعض الكتّاب المعاصرين، يأخذون منه ما يوافق ميولهم السياسية والعقدية!

والمؤلف الحقيقي للكتاب (المزوّر) يكثر الروايات عن مجاهيل، كأن يقول:

- **"ذكروا عن بعض البصريين.."** (٧٠/٢)
- **"عن مشايخ من أهل مصر.."** (٧١/٢)
- **"حدثنا بعض مشايخ أهل المغرب.."** (٧١/٢)

وللباحث السعودي الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان دراسة وجيزة ومحكمة بعنوان (كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي) عن هذا الكتاب المنحول، ويورد فيه روايات لا يمكن أن يخطها قلم الإمام المبجّل ابن قتيبة رحمه الله. من هذه الروايات على سبيل المثال:

"ثم إن عليّا كرم الله وجهه أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي"!! (١٨/١)

من هو المؤلف الحقيقي؟

يجيبنا المفكر والمؤرخ الجزائري الدكتور خالد كبير علال، فيقول:

".. إنه قد تبين لي من قراءتي النقدية لكتاب (الإمامة والسياسة)، أن مؤلفه شيعي، كثيرا ما أخفى مذهبه من جهة، لكنه أظهره في مواضع ليست قليلة من جهة ثانية. فمن مظاهر إخفاء مذهبه إنه نسب كتابه إلى عالم سنّي ثقة مشهور، هو ابن قتيبة. ولأنه أيضا حرص كثيرا على الترضي على الصحابة حتى وإن كان يطعن فيهم! ... وإنه اتهم الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بأنهما أجبرا عليا على بيعة أبي بكر، وحاولا حرق بيته! ...". (قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي، ص٨-٩)

موقف مؤسف للدكتور محمد عمارة

المفكر الإسلامي الكبير، وصاحب العديد من المؤلفات في الفكر والتاريخ والحضارة الإسلامية، توفي رحمه الله عام ٢٠٢٠م.

الدكتور عمارة من الذين يعتمدون الروايات التاريخية دون تحقيق أو تمحيص، طالما أن هذه الروايات توافق ميوله (الثورية)! ومن ذلك، استشهاده بهذه الرواية الساقطة من كتاب (الإمامة والسياسة)، والتي فيها افتراء عظيم على الصحابة، خاصة أمير المؤمنين، الإمام المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يقول الدكتور عمارة:

"ولقد أورد ابن قتيبة نص هذا البيان الذي يقول فيه المهاجرون الأولون لأهل مصر: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ.. من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أما بعد، أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإن كتاب الله قد بدّل، وسنة رسوله قد غيرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت. فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول والتابعين بإحسان إلا أقبل إلينا وأخذ الحق لنا وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه الخلفاء.

غُلبنا على حقنا، واستُولِيَ على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة، وهي اليوم ملكا عضودا"! (الإسلام والثورة، ص١٧٣-١٧٤)

هكذا يتبنّى الدكتور عمارة هذه الرواية التي تصف خلافة عثمان بالملك العضود!

ولا يشير محمد عمارة في كتابه إلى أن كتاب (الإمامة والسياسة) ليس من تأليف ابن قتيبة وإنما منسوب إليه. غفر الله للدكتور عمارة.

الفصل التاسع

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

أما المؤلف فهو: أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد القرشي الأصفهاني (٢٨٤-٣٥٦هـ). وهو معروف بتشيعه وشعوبيته وفسقه! وكان كاتبا في ديوان ملوك بني بويه الشيعة.

قال عنه ابن كثير:

"وكان شاعرا أديبا كاتبا، عالما بأخبار الناس وأيامهم، وكان فيه تشيع. قال ابن الجوزي: ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر". (البداية والنهاية، ٢٩٨/١١)

وجاء على موقع (إسلام ويب)، وهو موقع شرعي معتبر:

"فكتاب الأغاني للأصفهاني فيه من الطامات والخزعبلات، ما يوهّن التقوى في القلوب ويشجع على الهبوط والإسفاف والرذيلة، وقد طالت سهامه المسمومة الكثير من أهل الفضل والشرف والرفعة والحسب، فنسب إليهم ما لا يجوز نسبته إلا لأهل المجون والانحلال، حتى أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يسلموا من طعنه فيهم صراحة بروايات لا تستقيم سنداً ولا متناً، وفي رواتها مجهولون أو كذابون دجاجلة أو أسانيد منقطعة، تتقطع القلوب حسرة وغيرة على الدين وأهله عند سماعها".

فإذا كان هذا حال المؤلف، وهذا حال الكتاب.. فلماذا ندرج (الأغاني) ضمن مصادر التاريخ؟!

للأسف الشديد، أصبح هذا الكتاب المشبوه معتمدا لدى الكثير من الكتّاب والدعاة والمؤرخين المعاصرين. وممن يستشهد بروايات هذا الأصفهاني الداعر شخصيات نكن لها كل حبّ وتقدير، كالأستاذ الداعية أبو الحسن الندوي رحمه

الله. ففي كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام)، وضمن تجنيه على الدولة الأموية واتهامه لها بالجاهلية، يقول:

"كانت نهاية الخلافة الراشدة واستحكام الدولة الأموية –التي كانت بالاختصار دولة عربية أكثر منها إسلامية! انتقالا جديدا في تاريخ الإسلام، وفرصة انتهزتها الجاهلية التي كانت لا تزال بالمرصاد!!". (رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ٣٢/١)

ثم يستشهد الندوي بثلاث روايات ساقطة من كتاب (الأغاني) كدليل على اتهاماته الظالمة، بغض النظر عن حُكم هذه الروايات، سندا ومتنا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد شحن الإصفهاني كتابه بكمّ هائل من الروايات المكذوبة التي تنال من أعراض وسِير سادات المسلمين، رجالا ونساء، فعليه من الله ما يستحق.

وننبه القارئ الكريم إلى الكتاب المانع الجامع الذي ألّفه المفكر والشاعر والداعية العراقي الأستاذ وليد الأعظمي، رحمة الله عليه، تحت عنوان (السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني)، وقد أدرج الشيخ عبدالله العقيل هذا الكتاب ضمن موسوعة (الأعمال النثرية الكاملة لوليد الأعظمي)، فجاء موقع هذا الكتاب في الجزء الثامن، الصفحات (٤٠٩٧-٤٢٦٠).

الفصل العاشر

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني

المؤلف هو: أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ).

قال عنه ابن كثير:

"الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة، من ذلك (حلية الأولياء) في مجلدات كثيرة، دلت على اتساع روايته، وكثرة مشايخه، وقوة اطلاعه على مخارج الأحاديث، وتشعب طرقها، وله (معجم الصحابة) وهو عندي بخطه، وله (صفة الجنة) و(دلائل النبوة)، وكتاب في الطب، وغير ذلك من المصنفات المفيدة". (البداية والنهاية، ٦٧٥/١٥)

وقال ابن خلكان:

"كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، وأخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به". (وفيات الأعيان، ٩١/١)

بناء على ما تقدم، فمؤلف كتاب (حلية الأولياء) إمام من كبار أئمة الحديث، وعالم من كبار علماء أهل السنة، ولكن لنتمهل قليلا ونستعرض هذه الأحاديث الثلاثة المختارة التي يرويها المحدث (السنّي) الكبير في كتابه..

وقفات مهمة مع الكتاب وصاحبه

الحديث الأول:

"حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عبد الحميد بن بحر، ثنا شريك، عن سلمة بن كهيل، عن الصنابحي، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا دار الحكمة وعلي بابها". رواه

الأصبغ بن نباتة والحارث عن علي نحوه . ومجاهد عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - مثله. (٦٤/١)

تعليق: الراوي الأصبغ بن نباتة كما ذكر علماء الرجال: رافضي، كذاب، يروي الموضوعات، متروك، ليس بثقة!

الحديث الثاني:

حدثنا محمد بن أحمد بن علي، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، ثنا علي بن عياش، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن جندب، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أنس اسكب لي وضوءا" . ثم قام فصلى ركعتين . ثم قال: "يا أنس من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين"! قال أنس: قلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار وكتمته، إذ جاء علي فقال: "من هنا يا أنس؟" فقلت: علي، فقام مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق علي بوجهه. قال علي: يا رسول الله، لقد رأيتك صنعت شيئا ما صنعت بي من قبل؟ قال: "وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي". رواه جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن أنس نحوه. (٦٤/١)

تعليق: الراوي جابر الجعفي: ضعيف، لا يُحتج به، كان سبئيا، يقول بعقيدة الرجعة، يدلّس، مذموم!

الحديث الثالث:

"حدثنا أبو أحمد الغطريفي، ثنا أبو الحسن بن أبي مقاتل، ثنا محمد بن عبيد بن عتبة، ثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي، ثنا أحمد بن عمران بن سلمة، وكان ثقة عدلا مرضيا، ثنا سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: كنت عند النبي ﷺ، فسئل عن علي، فقال: قسمت الحكم عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءا واحدا"! (٦٥/١)

تساؤلات:

- عقيدة التشيع طافحة في هذه الأحاديث..
- هل محدثنا الكبير (أبو نعيم الأصبهاني) سنّي أم شيعي يستخدم التقية ويغطي على تشيعه بذكر بعض فضائل الصحابة ليمرر عقيدته الشيعية؟
- كيف يضفي علماؤنا هذه الفضائل والمدائح على هذا الأصبهاني الذي يأتي بمثل هذه الأكاذيب ثم ينسبها إلى الرسول ﷺ؟

رأي شيخ الإسلام

ونختم الحديث عن أبي نعيم وكتابه بكلام فصل لابن تيمية رحمه الله..

قال في كتاب (زيارة القبور):

"فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمكذوب الذي لا خلاف بين العلماء في أنه كذب موضوع". (٦٥/١)

وقال في (الفتاوى):

"وأما كتاب حلية الأولياء فمن أجود مصنفات المتأخرين في أخبار الزهاد وفيه من الحكايات مالم يكن به حاجة إليه والأحاديث المروية في أوائلها أحاديث كثيرة ضعيفة بل موضوعة". (٧١/١٨)

باختصار، فإن هناك اضطراب كبير بين أهل العلم في الحكم على كتاب (الحلية) وغيرها من الكتب المماثلة، التي تحمل الغث والسمين.

خـلاصـــة

١) من الواضح أن (الحس التجميعي) كان هو الغالب على المؤرخين، على حساب التحقيق والتدقيق، وهذا ترك مجالا خصبا لأعداء الأمة، من مجوس ومستشرقين وعلمانيين وغيرهم، لِئن (ينهلوا) من الروايات الضعيفة والمكذوبة بهدف هدم الإسلام من الداخل، وتشكيك المسلمين في تاريخهم ورموزهم. هذا فيما يتعلق بكتب التاريخ.

٢) أما فيما يتعلق بكتب الحديث، فالأمر أكثر أهمية و(أشد حساسية). إن السنّة النبوية المشرّفة هي المصدر الثاني للتشريع، ويجب على علمائنا المعاصرين، المختصين بعلوم الحديث، أن يبذلوا مزيدا من الجهد في سبيل التعرّف، ثم التحذير من هذا الكمّ الهائل من الروايات الحديثية الضعيفة والمكذوبة التي تملأ (بعض) كتب الحديث، وقد مرّ بنا شيئ من هذا في الفصل العاشر، حين الحديث عن كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني.

ولمزيد من التوضيح..

ألف الإمام النسائي رحمه الله كتاب (خصائص أمير علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، وهذا الكتاب من تحقيق: الشهيد بإذن الله، الدكتور أحمد ميرين البلوشي رحمه الله، الذي اغتاله المجوس سنة ١٩٩٦م، وكان العالِم السنّي الوحيد في إيران، الذي يحمل شهادة الدكتوراه في علم الحديث..

حسب كلام المحقق، فإن كتاب النسائي جاء فيه:

- الصحيح والصحيح لغيره: حوالي ٩٧ حديثا..
- الحسن والحسن لغيره: حوالي ٤١ حديثا..
- والضعيف: ٧٠ حديثا!

أورد النسائي في كتابه هذا الحديث:

قال علي: "أنا عبدالله، وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب...".

قال المحقق الدكتور البلوشي رحمه الله:
"إسناده ضعيف، والمتن منكر". (الخصائص، الحديث رقم ٧)

ولكن الإشكال هنا: كيف يروي محّدث في مقام النسائي، هذا الحديث الضعيف (ونقول: بل الموضوع)، والذي فيه تعريض بأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه؟!

وفي كتاب النسائي أيضا:
عن علي: "... والله إني لأخوه، ووليه، ووارثه، وابن عمه، ومَن أحق به مني؟". (الخصائص، الحديث رقم ٦٥)

قال المحقق:
"إسناده ضعيف لوجود ثلاث علل فيه".

وهذا هو الشاهد في كلامنا: نزعة شيعية واضحة في هذه الأحاديث المزعومة، خاصة في موضوع الخلافة، تصدر من محدّثين كبار من أمثال النسائي رحمه الله وغفر له.

نقول: وقد طَبع الشيعة هذا الكتاب في مطابع مدينة (النجف)، ولا عجب!

٣) تراثنا أمانة في أعناقنا، وبصفة خاصة، في أعناق أهل العلم والاختصاص منّا. وهذا التراث غني دسم! والعبرة في طريقة التعامل مع هذا التراث.

خـتــام

ونختم هذه الدراسة بكلام قيّم كتبه الأستاذ عبدالحيّ كريط، في موقع (ساسة بوست):

"قراءة التاريخ من أصعب أنواع القراءات، فالمعلومات التاريخية تختلف عن العديد من أنواع المعلومات الأخرى، فالتاريخ محدث ومستمر ومتجدد إلى أن تنتهي البشرية وما فعلوه بالأمس، وما وصلوا إليه اليوم، فمن ليس له تاريخ ليس له مستقبل، لأن التاريخ يحمل في طياته نوعًا من جرس الإنذار المبكر لمن يعرفون كيف ينصتون إليه أو يحسنون قراءته، وهذا لن يتأتى لنا إلا من خلال التفكير النقذي الذي هو أساس ومدخل دراسة العلوم التاريخية المختلفة، لأن منظومات التفكير النقذية تمكننا من الوقوف على مسافة واحدة ورؤية الموضوع من جميع الأوجه والجوانب من خلال ما دوّن وما أرّخ وما كتب في الوثائق والكتب والموسوعات التاريخية، لأن عملية تزييف الوعي والحقيقة التاريخية يحدث عندما لا نرجع إلى مصادر ثنائية ومتنوعة والاكتفاء فقط بحقبة واحدة ومن منظور واحد، يقول أحد المؤرخين: (إذا أردت أن تقرأ التاريخ لابد أن تقرأ عن المؤلف، وإذا قرأت عن المؤلف، لابد أن تبحث عن خلفياته الفكرية والسياسية والاجتماعية) ... فالوصول إلى الحقيقة التاريخية ليست بالأمر الهين أو السهل، بل لا بد من بحث وعمل ومجهود كبير لكي تصل إلى استنتاج عام حول الحقيقة التاريخية التي تحتاج إلى فكر نقذي وفلسفي بعيدًا عن التأويلات الغامضة التي تلعب على أوتار الحلقات التاريخية المفقودة، التي غالبًا ما يتم استغلالها سياسيًا من قبل الأنظمة، وتطعيمها بمضادت حيوية دينية لكي تكون الصنم الذي يعبد ويقدس استمرارًا لحالة الانبطاح والخضوع والركون تحت عبودية العبد، بدلا عن عبودية رب العالمين".

وبعد..

فهذا ما خطّه قلمي، فإن أصبت فبتوفيق الله لي، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان..

والحمد لله رب العالمين.

مؤلفات عمر خليفة راشد

١) أضواء على المشروع الصفوي الإيراني (١٤٣٥هـ).

٢) محمد حسين فضل الله.. اعتدال أم تقيّة؟ (١٤٣٥هـ).

٣) معركة القرضاوي والشيعة (طبعة أولى ١٤٤٣هـ، طبعة ثانية ١٤٤٤هـ).

٤)الغزو الشيعي للثقافة السنية.. نماذج من الماضي والحاضر (١٤٤٤هـ).

٥) الصراع بين الأمة والطوائف في الشرق الأوسط (١٤٤٥هـ).

٦) ملفات شيعية ساخنة (١٤٤٥هـ).

٧) تاريخنا بين إشكالات التدوين القديم وإشكالات القراءة المعاصرة (١٤٤٥هـ).

٨) إطلالة نقدية على بعض مصادر التاريخ الإسلامي (١٤٤٦هـ).